

## خطاب معالي الأستاذ عبد الهادي بوطالب

المدير العام للمنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة

بسم الله الرحمن الرحيم

أصحاب المعالي،  
حضرات السيدات والسادة

التضامن، وتشع معه صورة مشرفة لواقع عربي إسلامي كان ولا يزال مطبوعاً بالتللامس والتماسك. «وأن هذه أمتكم، أمة واحدة، وأن ربيكم فاعبدون». ولا يخامرني شك في أن أشغال مؤتمركم السادس الذي ينطلق بهذا الافتتاح ستكون امتداداً للمؤتمرات الخمسة السابقة التي طبعها النجاح وحالها التوفيق، مما يجعلنا نستشرف من هذا المؤتمر حصيلة إيجابية أخرى تساهم في اكمال الأهداف المتوازنة، وتضيف لبنات إلى تلك التي سبقتها حتى يستقيم شانغاً صرح البيان الذي عمل على إرساء قواعده، وأخذتم الآن تعلوه وتشيدونه.

إن المخورين الأساسيين المدرجين في جدول أعمال هذا المؤتمر يكتسبان أهمية بالغة، وإن إقرار

أود في البداية أن أغرب عن السعادة التي تغمرني وأنا ألبى دعوتين كريتين للمشاركة في افتتاح المؤتمر السادس للتعریف الذي يعتقد على أرض المملكة المغربية وبرعاية حكومتها : إحداهما تلقيتها من معالي وزير التربية الوطنية رئيس اللجنة الوطنية المغربية للتربية والثقافة والعلوم، الدكتور محمد الحلالي، والأخرى من معالي الزميل الصديق الدكتور محسي الدين صابر، المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، فإليهما معاً أرجي أOffer الشكر وأجزله، مقدراً فيما حرصهما على إشراك المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في العمل الفكري العربي المشترك الذي جاءت منظمة الإيسسكو لترفده بعطاء المسلمين، ولتصهر العمل العربي والعمل الإسلامي في نتاج واحد، يقوى به عالم الإسلام

جهود المفكرين العرب كانت منشغلة بقضية الكفاح لأجل استعادة الاستقلال القومي، الشيء الذي لم يساعد على إيلاء ميدان العلم كل ما هو أهل له من المتابعة والدراسة والتخطيط.

ولما تم استرجاع استقلال البلاد العربية، انصب الاهتمام من جديد على المجال العلمي، بيد أن المسألة لم تكن هينة، فلقد وجد العرب بعد أن استقلاوا أوروبا وقد دخلت بهاراة وكفاءة مذهلتين عصر العلوم والتقنيات والتكنولوجيا، عصراً احتد فيه التنافس العلمي والتكنولوجي. ولم يكن لنا أي نصيب في ذلك التنافس الذي كان يتطلب تكويناً مبرحاً لأجيال، تكيناً افتضى من العرب تبعية مكثفة للعديد من المكتبات المادية والمعنوية التي تعوزنا بشكل مريع. ورغم حزال نصيبنا من النهاية العلمية والتقنية والتكنولوجية وضخامة عمل الترجمة والاستبطاط إلى حد التعجيز، شمنا على ساق الجد علماً منا بأن علينا من جهة أن نعرب المفاهيم والمصطلحات حفاظاً على لغتنا، ومن جهة أخرى أن نحقق اللحاق بركب التقدم الحضاري باقتحام ميادين العلوم بأقصى ما يتيسر من السرعة. وبذلك طرحت بحدة قضية التعريب.

إلا أن قضية التعريب هذه لم تعد قضية لغوية معجمية يمكن أن يعتمد الإنسان في وضعها على النقل المعجمي بطرق التعريب المعروفة عند علماء اللغة من اقتباس ونحو، ولا على الطرق التي سار عليها اللغويون الغربيون في تطوير المصطلح العلمي تطويراً مستمراً من الاشتغال اللاتيني أو السكسيوني، بل تغيرت معايير البحث العلمي بين مختلف الثقافات، وتتطور تبعاً لذلك المصطلح العلمي نفسه، في مختلف شعب المعرفة، سواء منها الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية، وفي العلوم الدقيقة وما يتصل بها. وغير خاف أن التعريب قضية حضارية قبل كل شيء، فلا يمكن بالتأكيد ملاحظة التطور المغوي

مشروعات المعاجم الخمسة وتدارس الحدود الازمة لنهاجية العلوم ليسا في حاجة إلى إبراز ما لهما من علاقة وطيدة بمسيرة التنمية التربوية الثقافية التي يجتازها بنجاح العالم العربي، كما أن تبنيهما تحت مظلة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مضافة إلى ما أقررتمه في المؤتمرات الخمسة السابقة يشكل دعماً موطداً لشموخ صرح التضامن العربي على صعيد الفكر الذي هو قاعدة كل تضامن وترابط.

### حضرات السيدات والسادة،

في أوائل القرن العشرين عندما كان المفكرون العرب يهتمون بإشكالية المستقبل العلمي للأمة العربية، نتيجة الاحتلال بالغرب وحضارته وثقافته، لم يفصلوا بين العلم ولغة الأجداد وإنما كان النطلع إلى الأخذ بقبض السبق في ميدان التقدم العلمي يواكب ضرورة الاعتزاز على العربية أساساً لبنائه. لذا اعتمد مفكرونا متذئذ على تعريب المصطلحات العلمية الأجنبية، ويسّر نقل التعبير العلمية إلى لغتنا تدفق العربية بزاخر القوالب البنوية، وتوفّرها على المرونة المساعدة على النحت والاشتقاق، وتملكها طاقة استباضية وإبداعية لا حد لها.

أما اليوم، فمهما انهرنا بثراء اللغة العربية وطاقتها لا نملك أن نلاحظ البون الشاسع بين مكتباتها الأدائية وما وصلت إليه علوم الحضارة الحديثة، مما أدى إلى تضخم مدهش في المفاهيم وأصطلاحاتها، وما يتذرع معه تداركنا — لغويًا — ما فات.

لقد بذل أسلافنا من الجهد أقصاه التكينهم وتمكيننا من التعبير بلغتنا عمما نريد إجلاءه من المفاهيم والدقائق العلمية في جميع مجالات المعرفة السائرة في تطور ونماء لا يُعْرَفُان كثلاً ولا فنوراً. لكن التقدم العلمي كان أسرع من الرغبة في اللحاق به ومن الجهد المبذول في بلورة تلكم الرغبة، بينما وأن

منفصلاً عن التطور في المعارف ذاتها، ولا يمكن باتاً أن يطير علماء العرب لغتهم دون مساهمتهم المتواصلة في تمية المعرفة، إن المصطلح ليس إلا تعبيراً عن حركة الفكر، ولن يكون المصطلح العلمي عربياً إلا بعقلية عربية، فاللغة أداة للتغيير عن خلجان الفكر، وليس المصطلح هو أداة الفكر.

ومن الواقع أن العرب عندما عاشوا حياة الصحرا، كانت لغتهم عن دقائق أو صاف الحمال وسادات الفرس لا تؤديها معاجم سكان البلاد الأخرى، فلم تكن ألفاظهم مجرد كلمات بقدر ما كانت معبرة عن مضمون وأشكال بنوية دقيقة حية. وعندما اتصلوا بالحضارة الاغريقية ونقلوا العلوم الدقيقة منها، لم يكتفوا بذلك الألفاظ والكلمات، بل نقلوا أيضاً المعرفة وساهموا في تطويرها، فجاءت الاصطلاحات بتعابير ذات بنية عربية سليمة. لقد كتب الفيلسوف النظام عن الذرة فلم تستعص عن الاغريق فيوضع آرائهم ويضيف إليها من آراءه بلغته وتعابيره، لم يكن الشيخ الرئيس مجرد مترجم ناقل. ولنقارنا أعماله بأعمال معاصره (جلبير) في روما، لوجدنا في أعمال العالم الغربي صعوبة في النقل والترجمة لم تسجل عند العالم الإسلامي، لأن أوروبا لم تكن عندها تسميم في صوغ المعرفة بقدر ما كانت أداة نقل مجرد، حيث لم تكن تجد في لغتها ما يسعفها للنجاح في النقل.

إن عملية وضع المصطلحات شبيهة بعملية استنبات الحبوب في الأرض الزراعية، فهي تحتاج إلى مجال صالح وتتفقر إلى هضم ذاتها، ولو أن علماء العرب المعاصرين قاموا في عصر الكون هذا بكشوفات علمية، وكانت هذه تحمل أسماء عربية، كما حللت المصطلحات الفلكلورية التي كانت وليدة جهود الفكر العربي في الماضي، ونحن اليوم نقرأ في خارطة الفلك المعاصر أسماء عربية لأنها ولادة الفكر العربي الذي كان متمنينا من معطياتها.

ومع ذلك، لا يجوز أن نعمد جهود علماء العرب المحدثين في ميدان المصطلح العلمي. فقد تأسست في عصرنا جامع لغوية ومعاهد علمية تجرب الباحثون فيها في وضع معاجم علمية عصرية، وبرز داخلها علماء بذلوا في هذا الحقل جهوداً شخصية، وكان لهم الفضل في صوغ تلک المعاجم العنية الحديثة، غير أن سوء التنسيق وتكرار العمل، ووقوع الخافر على الخافر كان ذلكم لم يكن في مستوى التطور السريع للمعرفة في هذا العصر، لهذا انطبع بعض الأعمال بالتكرار. وكانت النتيجة تحيطها بين دفات الكتب والمعاجم لفقدانها الحياة والحركة في خضم المعركة التي تعيشها العلوم التي تجتاز مسيرة التطور السريع والتقدم الملاحم والابداع الحاسم.

وبالاضافة إلى تشتت جهود علماء العرب بما واجهوه من صراعات سياسية انعكست على الأعمال الثقافية والعلمية، هناك العوامل الجغرافية والاقتصادية المتمثلة في إحكام السيطرة الأجنبية على البلاد النامية التي أصبحت بمثابة السيطرة السياسية والاقتصادية تابعة للغالب، شاعرة بالنقض اللغوي والعلمي، وإن الملاقة لواحد من أسباب ما يعانيه التطور اللغوي من ارتباك في عالمنا المعاصر.

إن التعريب قضية حضارة قبل أن يكون قضية لغة، وما اللغة إلا بلورة للهوية الفكرية لكل أمة، لذا يلزم تقييم خطة العمل بما يجعل من مراكز التعليم العالي ميادين للبحث العلمي الحق، لتسير المعرفة بجانب اللغة ذاتها، فاللغة تخلق المصطلح. ومن الحق أن نعرف أن الجامعات في بلادنا لم تجد بعد طريقها لتكون أداة تطوير المعرفة في مستوى المرحلة التي نعيش فيها، لأنها ما تزال تعتمد بالاتصال الكمي مغفلة التفوق الكيفي، وعندما تصبح في مستوى التطور العلمي المعاصر يصبح العلماء الذين يصنعون المعرفة مؤهلين بيسراً لتصدر من أفواههم وتسيل عبر أقلامهم الكلمات والمصطلحات والتعابير المعبرة عن

مستوى مجرد مكتب للتعریف، وجعله كما يدل عليه اسمه أداة جمع لجهود التعریف المنسقة على صعيد العالم العربي، مما يصبح معه سلطة عليا تمثل فيها جميع الجامع اللغوية والمؤسسات العربية العاملة في حقل التعریف.

أعرب مرة أخرى عن تمنيات النجاح لأشغال هذا المؤتمر، وللمشاركين فيه بال توفيق في البحث والاستنتاج الصائب حتى تكون نتائج أعمالكم في مستوى طموحات العالم العربي وتطلعاته.  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

خلجات الأنکار في بنية اللغة التي يتمون إلى فصيلتها،

إن التربية ترتبط هي الأخرى بالتعریف، ولا يمكن أن نرى جيلاً جديداً إلا على أساس لغتنا، لذا فالتعريب ضروري في نهضتنا التربوية والعلمية. وإنه ليس عيناً أن نقتبس، لكن ليكن ذلكم بشروط تضمن سلامية التركيب البنوي حتى لا نفسد اللغة ونفسد بفسادها النطق والتفكير.

ولذلك كله فإني أنقدم إلى جمعكم الكريم برجاء إعادة الاعتبار لمكتب تنسيق التعريب برفعة من